

إنطلق من سلطان الحواس

عن كتاب انطلاق الروح

للبابا شنودة الثالث

إنك تؤمن بحواسك الخمس إيمانا شديدا و لا تصدق روحك ان تعارضت مع هذه الحواس فمتى تنجو من سلطان حواسك و تدرك انطلاق الروح .

انك تصدق الشئ الذى تراه بعينيك . أو تسمعه بأذنيك . أو تلمسه بيديك ... أما غير هذا فقد يعتريك فيه الشك , فلماذا !! السبب بسيط , و هو أنك ما تزال عائشا بالجسد , تؤمن بالجسد و حواسه .

انك تنظر هنا و هناك , فترى أنه ليس من أحد , ليس من مشاهد و لا من رقيب . فترتكب الخطأ الذى تتحاشى ارتكابه أمام الناظرين . فهل تصدق حقا أنه لم يرك أحد ! لقد كان هناك عينان تنظران اليك فى اشفاق , و فى تأنيب ... و لكنك لم تبصر هاتين العينين لأنك كنت تعيش فى الجسد ... كان الله يراقبك و أنت لا تراه و لو كنت تعيش بالروح منطلقا من هذه الحواس القاصرة لاستطعت أن تقول ما قاله ايليا : " حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه " (1 مل 18 : 15) .

تحيط بك المخاطر فتتلفت عن يمين و عن يسار , و اذ ترى نفسك وحيدا تخاف و ترتعب . ان الله واقف عن يمينك لكى لا تتزعزع , و لكنك لا تراه . عينك قاصرتان لا تبصران كل شئ . انهما عينان ماديتان لا تدركان الروحيات . ليتك يا أختي الحبيب تطلق روحك من سلطان هذه الحاسة الجسدية , روحك التى تفحص كل شئ حتى أعماق الله (1 كو 2 : 10) , ليت روحك تنطلق لترى الله عن يمينك و تهمس فى أذنه فرحا " ان سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شرا لأنك أنت معي " (مز 23) . كان جيحزى المسكين خائفا جدا وهو يرى بعينه الأعداء يقتربون و ليس من منقذ . أما الإشع العائش بالروح فكان مطمئنا . كان يرى بالروح ما لا تراه العين , و يسمع ما لا تسمعه الأذن . و اذ أشفق على الغلام , طلب من الله أن يفتح عينيه ليرى ... و نظر جيحزى فاذا الجبل زاخر بجنود الله و مركباته فاطمان (2 مل 6 : 17) .

لا تعتمد على حواسك فهى ضعيفة لا تدرك ما تدركه الروح . كانت أرملة صرفة صيدا تنظر الى الكوار فترى فيه حفنة واحدة من الدقيق , و الى الكوز فترى

فيه قليلا من الزيت , و ترى أن هذا الدقيق و هذا الزيت لا يكفيان الا لصنع كعكة واحدة تأكلها مع ابنها ثم يموتان من الجوع . أما ايليا , رجل الله , فكان يرى بالروح غير ما تراه العيون الجسدية : كان يرى كوز الزيت لا ينقص مهما أخذت منه الأرملة و كذلك كوار الدقيق ... و قد كان . (1 مل 17 : 14) .

كان أليشع واقفا على شاطئ الأردن . عينه الجسدية ترى الأردن نهرا , و ترى السير فيه يؤدي حتما الى الغرق . أما روح اليشع فكانت منطلقة من هذه العين القاصرة . كان نهر الأردن و الشاطئ بالنسبة اليها سواء . كلاهما أرض صالحة للسير . أخذ اليشع رداء ايليا الذي سقط عنه عندما استقل المركبة النارية , و ضرب الماء بهذا الرداء فانفلق الماء و عبر اليشع (2 مل 2 : 14) . ان العين العادية ترى ثوب ايليا ثوبا , أما اليشع فكان يراه بالروح قوى عجيبة يستخدمها الله ... و لم يكن فى نظره ثوبا كباقي الثياب .

ان عينك قاصرة يا صديقى حتى فى الماديات . هناك أجسام لا تراها , و مع ذلك فهى موجودة تتحدى بصرك الضعيف , و ربما تستطيع أن ترى هذه الأجسام الصغيرة باستعمال المجهر .

فاذا لم يكن هناك مجهر , و لم تر عينك المجردة تلك الأشياء الدقيقة , أ تستطيع أن تنكر وجودها لأنك لا تراها . ! فان كان هذا فى الماديات . فماذا تقول عن الروحانيات .

فى الأمور الروحية اترك فرصة للروح لكى تفودك , و لا ترغمها على الخضوع للجسد , اتركها على سجيته تنطلق و تسبح فى عالم الالهيات " و طوبى لمن آمن دون أن يرى " (يو 20 : 29) .

لابد أنك سمعت عن الرؤى يا أخى الحبيب , حينما تسبح الروح فى عالم الملائكة و القديسين و ترى ما لا يراه الجسدانيون , هنا نرى الروح منطلقة من سلطان الجسد , تستخدم أعضائه فى أغراضها الروحية , فتخضع الحواس للروح , و ليس الروح للحواس .

قال لى شخص انه سمع بظهور مار جرجس فى احدى الكنائس , فرفض أن يصدق , و ذهب بنفسه الى هناك ليتأكد بعينه من فساد تلك (الخرافات) و فعلا ذهب و لم ير شيئا .

لست أريد أن أعلق على هذه القصة بشئ , و لكنى أعرض رأيا و هو أن هذا الشخص و أمثاله قد لا يرون الرؤى لضعف ايمانهم بها , لأنهم يريدون اخضاع الروحيات لحواس الجسد , بينما يكشف الله للبسطاء عن أسرار ملكوته .